

دلائل الإعجاز

ومما لا يكونُ العطفُ فيه إلاَّ على هذا الحدِّ قولُهُ تعالى : (وَما كُنْزُتَ بِرِجائِنا
الْغَرْبِ بِبِئْسَ إِذٌ قَضَيْنا إِلى مُوسى الْأَمْرَ وَما كُنْزُتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَلَكِنَّا
أَنْشَأْنا نَافِثِينَ فَتَطاولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَما كُنْزُتَ ثاويًا فِي أَهْلِ
مَدْيَنَ تَتَلَوْا عَلَيْهِم آياتِنا وَلَكِنَّا كُنْزُنا مُرْسِلِينَ) . لو جَرِيتَ على الظاهر
فجعلتَ كلَّ جملةٍ معطوفةً على ما يليها مَنعَ منه المعنى وذلك أنه يلزمُ منه أن
يكونَ قولُهُ : (وَما كُنْزُتَ ثاويًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) معطوفًا على قولِهِ ()
فَتَطاولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) وذلك يقتضي دخولَهُ في معنى " لكن " ويصيرُ كأنه قيل :
ولكنَّك ما كنتَ ثاويًا وذلك ما لا يخفى فسادُهُ . وإِذا كانَ ذلكَ بانَ منه أنه ينبغي أن
يكونَ عطفُ مجموعُ (وَما كُنْزُتَ ثاويًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) إلى (مُرْسِلِينَ) على
مجموعِ قولِهِ (وَما كُنْزُتَ بِرِجائِنا إِلى مُوسى الْأَمْرَ) إلى قولِهِ (الْعُمُرُ) .

فإِن قلتَ : فهلاًَّ قدَّرتَ أن يكونَ (وَما كنتَ ثاويًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) معطوفًا على ()
وما كنتَ من الشاهدين (دونَ أن تزعمَ أنه معطوفٌ عليه مضمومًا إليه ما بعده إلى قولِهِ
" العمرُ " قيل : لأنَّنا إِن قدَّرتَ ذلكَ وَجَبَ أن يُذَوَّى به التَّقديمُ على قولِهِ : ()
ولكنَّنا أَنشَأْنا قرونا) وأن يكونَ الترتيبُ : وما كنتَ بجانبِ الغربيِّ إِذْ قَضَيْنا
إلى موسى الأمرَ وما كنتَ من الشاهدين وما كنتَ ثاويًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تتلو عليهم
آياتِنا ولكننا أَنشَأْنا قرونا فتطاولَ عليهم العمرُ ولكنَّنا كنا مُرْسِلِينَ وفي ذلكَ إِزالةُ
(لكن) عن موضعِها الذي ينبغي أن تكونَ فيه . ذاكَ لأنَّ سبيلَ (لكن) سبيلُ (إلاَّ)
فكما لا يجوزُ أن تقولَ : جاءني القومُ وخرجَ أصحابُكُ إِلاَّ زيدًا وإلاَّ عمراً بجعلِ " إلاَّ"
زيداً " استثناءً من جاءني القومُ و " إلاَّ عمراً " من خرجَ أصحابُكُ . كذلكَ لا يجوزُ أن
تصنعَ مثلَ ذلكَ بلكن فتقولَ : ما جاءني زيدٌ وما خرجَ عمروٌ ولكنَّ بكرًا حاضرٌ ولكنَّ
أخاكَ خارجٌ : فَإِذا لم يَجُزْ ذلكَ وكانَ تقديرُكُ الذي زعمتَ يُؤدِّي إليه وجبَ أن تحكمَ
بامتناعه فاعرفهُ .

وهذا وإنما تجوزُ نيَّةُ التأخيرِ في شيءٍ معناه يَقتضي له ذلكَ التأخيرَ مثلَ أن
كونَ الاسمِ مفعولًا لا يَقتضي له أن يكونَ بعدَ الفاعلِ فَإِذا قُدِّمَ على الفاعلِ نُويَ
به التأخيرُ . ومعنى (لكن) في الآية يَقتضي أن تكونَ في مَوْضِعِها الذي هي فيه فكيفَ
يجوزُ أن يُذَوَّى بها التأخيرُ عَنده إلى موضعِ آخرَ

